المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

نماذج من الزراعات الكولونيالية في الجزائر 1830م – 1918م

Examples of colonial agriculture in Alegria 1830-1918

مراد سعودي
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة – الجزائر
saoudimourad88@gmail.com

أ.د. إلياس نايت قاسي
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة – الجزائر
lies.naitkaci@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/29 تاريخ القبول: 2022/06/11 تاريخ النشر: 2022/07/05

الملخص:

عمد المستعمر الفرنسي منذ دخوله إلى الجزائر إلى اعتماد سياسة الاحتلال الاستيطاني وهذا من أجل السيطرة على الأراضي الجزائرية وتوفيرها للمستوطنين. تكمن إستراتيجية منظري الاستعمار في قول الجنرال بيجو أنه لا يمكن احتلال الجزائر إلا "بالسيف والمحراث". وبما أن طبيعة المستوطن الأول كان مستوطنا مزارعا ميالا للثراء السريع، ركز على منتجات زراعية ذات ربح وفير أكثر طلبا في الميتروبول وهذا لمعرفته بطبيعة التجارة في البلدين كان القمح في أولها نظرا للمعرفة القبلية به. من هنا تأتي دراستنا بعنوان "نماذج من الزراعات الكولونيالية في الجزائر 1830 –1918م" هذا يدفعنا لطرح الإشكالية الآتية: ما دور الزراعة في تثبيت المستوطنين بالجزائر وما نوع الزراعات التي ركزوا عليها؟ ما مدى ارتباط الزراعة الكولونيالية باقتصاد الميتروبول؟ تهدف هذه الدراسة لتبيان الدور الحقيقي للمستوطنين في المجال الزراعي ومدى مساهمتها في تثبيتهم، خاصة وأنها كانت سببا في ثرائهم.

الكلمات المفتاحية:

الاستيطان، الزراعة، التجارة، الميتروبول، الاقتصاد الكولونيالي.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

Abstract:

Since its entry into Algeria, the French colonizer has adopted a policy of settlement occupation, in order to control Algerian lands and provide them to settlers. The strategy of the colonial theorists lies in General Peugeot's saying that Algeria can only be conquered by "the sword and the plow". Since the nature of the first settler was a settler, a farmer inclined to get rich quickly, he focused on agricultural products with abundant profit, more demanded in the metropol, and this is because of his knowledge of the nature of trade in the two countries. Wheat was at the beginning due to the tribal knowledge of it. From here comes our study entitled "Models of Colonial Agriculture in Algeria 1830-1918". This prompts us to pose the following problem: What is the role of agriculture in stabilizing the settlers in Algeria, and what kind of crops did they focus on? How is colonial agriculture related to the metropol economy? This study aims to show the real role of the settlers in the agricultural field and the extent of its contribution to their stability, especially as it was the cause of their wealth.

Keywords:

Settlement. Farming. Trading. Metropol. Colonial economics.

مقدمة:

تعد الزراعة أولى الأنشطة التي مارسها الكولون في الجزائر بدءا بزراعة القمح نظرا للمعرفة المسبقة عنه، ثم تطورت أنواع الزراعات حسب التوسع الاستعماري من جهة وحسب تطور اهتمامات تجارتهم الممونة لاقتصاد الميتروبول، خاصة أن الاستيطان في المرحلة الأولي 1830–1842م كان استيطان عسكري زراعي وتجاري. توافد المستوطنون عبر مناطق كثيرة في الجزائر أدى إلى بروز مزارع عديدة تتعد منتجاتها حسب مناطقها وهذا على حساب ملكية الجزائريين، وهنا يمكنا طرح الإشكالية الآتية: ما دور الزراعة في تثبيت المستوطنين بالجزائر وما نوع الزراعات التي ركزوا عليها؟ ما مدى ارتباط الزراعة الكولونيالية باقتصاد الميتروبول؟

نريد من هذه الدراسة تبيان الدور الحقيقي للمستوطنين في المجال الزراعي ومدى مساهمتها في تثبيتهم، خاصة وأنها كانت سببا في ثرائهم. وللإجابة على هذه الإشكالية تتبعنا المنهج الوصفي التحليلي مستعينا بإحصائيات لنسب الإنتاج والتصدير وهذا للوقوف على وزن الزراعة في المشروع الاستعماري الفرنسي.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

يوجد في الجزائر 3 ملايين هكتار أراضي صالحة للزراعة، تشغل منها الغابات مساحة 2.360.747 هكتار والباقي أحراج، ومراعي واسعة في الهضاب العليا[1]. أمام هذه المساحة الكبيرة عمد الاستعمار الفرنسي في المرحلة الأولى من الاستيطان 1830–1840م وبموجب قرار 27 سبتمبر 1836م بمنح حصص أراضي بمساحة 4 هكتار للحصة للأشخاص الذين يريدون زراعتها مدة 3 سنوات مع بناء مسكن، و مع نهاية سنة 1839م قدرت مساحة الأراضي بـــــ: 2743 هكتار لـــــ: 316 عائلة يبلغ عدد سكانها 1580 فردا وهذا من أصل 27.204 مستوطن[2]. نظرا لأهمية الزراعة بالنسبة لاقتصاد الوطن الميتروبول قامت فرنسا بإنشاء مزارع تعليمية بقسنطينة والجزائر بموجب مرسوم 3 أكتوبر 1848م الذي نص على إنشاء و تنظيم التكوين المهني في الجزائر، ومرسوم آخر في 26 ماي 1865م نص على إنشاء التجارب الفلاحية بإقليم الجزائر بحيث تصبح مدرسة زراعية نموذجية لتجريب الأنواع النباتية وتطويرها[3].

1- زراعة الحبوب:

تمثل زراعة الحبوب الاهتمام الأكبر للجزائريين و نشاطهم الغالب و هذا لتعلقهم بالأرض و ضرورة تأمين مصدر عيشهم، كانت تمارس بطريقة تقليدية تعتمد على الحرث بالحيوانات سواء في المناطق الجبلية أو السهلية[4]. هذا ما سيجلب اهتمام المستوطنين الذي سيركزون على هذه الزراعة بشكل بارز في بدايات الاحتلال إذ مثلت مساحة 31.48 % [5] من إجمالي المساحة المزروعة، وقد خصصت أربعة مناطق لزراعة الحبوب وهي:

- **منطقة متيجة:** وهي ذات طابع سهلي ومناخ متوسطي، تقع جنوبي العاصمة على امتداد 100 كم، معدل التساقط ما بين 700–800 ملم سنويا وأرض خصبة ذات مردودية عالية.
- **منطقة الشلف:** منطقة سهلية لكنها جافة نوعا ما، تقع غرب الجزائر العاصمة بـــ : 200كم وتطل على البحر المتوسط، معدل التساقط لا يتعدى 400 ملم/سنويا. تكون مردودية الأرض عالية إذا كان هناك تساقط كبير أو تم سقي المحصول.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

- **منطقة سطيف:** طبيعة السطح هضاب عليا[6] ذات مناخ بارد ومعدل تساقط 450ملم/ سنويا، تقع بالهضاب العليا الشرقية نطاق زراعة حبوب بطبيعتها[7] وحاجتها الاقتصادية.
- **منطقة سيدي بلعباس:** تقع في الشمال الغربي الجزائري تابعة للقطاع الوهراني، زراعتها أكثر إتقان وتعتمد على التناوب الزراعي[8] وعلى التحضير الجيد للأرض. معدل التساقط ما بين 450–500 ملم/ سنويا[9].

يبين الجدول الآتي المساحات المزروعة حبوبا من قبل الأوربيين ما بين 1880م إلى 1915م:

زراعة الحبوب من قبل الكولون 1880–1915م

السنة	1880	1885	1890	1895	1900	1905	1910	1915
المساحة بالهكتار	372.722	535.931	413.759	417.624	532.091	591.091	752.750	887.521

نلاحظ من خلال الجدول أن زراعة القمح قد تراجعت مابين 1885 إلى 1900، وهذا راجع لنمو زراعة الكروم في الأراضي التلية الأكثر خصوبة بينما بقي القمح يزرع بمحاذاة المناطق نصف قاحلة مما انعكس سلبا على مردود الإنتاج بالقنطار في الهكتار. كما أن تراجع سعره في فرنسا الذي بلغ 15.30 فرنك للقنطار أثر على توجه المعمرين لزراعة الكروم المربحة وتركهم زراعة الحبوب، لأن فرنسا عرفت في هذه الفترة كميات كبيرة من الحبوب واردة من كندا و الهند و أستراليا[10]. هذا سيدفعها لرفع الرسوم الجمركية على الحبوب المستوردة و ضرورة إدخال تحسينات تقنية للرفع من مردودية الإنتاج. لمعرفة معدلات الإنتاج لابد من الوقوف عند إحصائيات أخرى أوردها "شارل روبير أجرون" لإجمالي إنتاج الحبوب وتشمل القمح الصلب واللين و الشعير والخرطال وردت كالآتي:

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

معدل إنتاج الحبوب حسب المواسم الزراعية 1880–1899م

الموسم الزراعي	معدلات الإنتاج الخماسي
1884–1880	3.217.047
1894–1890	3.299.402
1899–1895	3.458.151

لم تقنع هذه النسب الأوربيين و أجبرتهم على ضرورة التوجه لزراعات أخرى تدر عليهم أرباحا أكثر، في ظل ذهنية الكولون التي تميل إلى الثراء السريع[11]. لدينا بعض الإحصائيات للحبوب المصدرة من الجزائر 1902 إلى 1910م بالقنطار[12]:

صادرات الحبوب من الجزائر 1902–1910م

السنة	1902	1903	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910
القمح	475.014	724.058	922.792	555.029	1.189.804	2.014.743	724.313	1.216.153	1.867.149
شوفان	219.366	560.791	426.577	397.619	487.679	623.973	614.3380	507.514	643.123
الشعير	647.502	532.045	399.364	165.603	525.819	1.213.198	687.300	804.025	1.156.566

تشير الإحصائيات سنة 1909–1910م أن فرنسا استقبلت حوالي 50بالمئة من إنتاج القمح، وهنا بلغت المساحة المزروعة للمقاطعات الثلاث 2.974.396 هكتار بناتج إجمالي وصل إلى 23.571.320 قنطار، كما وصلت مساحة زراعة الشعير 1.383.464 هكتار وصل إنتاجه سنة 1910م إلى 10.605.022 قنطار. أما بالنسبة لمنتج الشوفان في نفس السنة بلغت مساحة زراعته 163.745 هكتار وإنتاجه إلى 1.924.455 قنطار[13]. وهذا ما يبرز اعتماد السوق الفرنسية على الحبوب الجزائرية نظرا لجودتها.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

2-الكروم:

ركز الكولون على زراعة الكروم في الجزائر نظرا للطابع التجاري الذي ارتكزت عليه أنشطتهم والمناخ المساعد على زراعتها، كما أن الأوضاع في فرنسا جعلتهم يتوجهون لتموين الاقتصاد الفرنسي خصوصا بعد أزمة الفيلوكسيرا phylloxéra التي ضربت الكروم بفرنسا. نشطت هذه الزراعة بصفة خاصة بعد الثمانينات من القرن 19م[14]، ففي سنة 1864م كانت مساحة زراعة الكروم 6567 هكتار لتصبح سنة 1874م 11.300 هكتار. ستتطور بشكل كبير سنة 1875م نتيجة أزمة مرض فيلوكسيرا ومنح الاعتماد المالي لزارعي الكروم الأوربيين في الجزائر. هذا سيشكل عامل أساسي في تطور زراعة الكروم وإنتاج الخمور[15]. و للوقوف على حجم زراعة الكروم لابد أن نرى أولا المساحات المزروعة والتي يوضحها الجدول الآتي[16]:

تطور زراعة الكروم في الجزائر1881-1914م

السنة	1881	1885	1891	1897	1901	1905	1907	1910	1912	1914
المساحة بالهكتار	8.802	12.618	15.916	16.483	17.854	15.834	16.104	12.676	12.106	10.480

تحليل النتائج الواردة في الجدول غير ممكن إلا إذا تم مقارنتها بمحاصيل أخرى ومعرفة حجم المداخيل، ولهذا سنعرف قيمة زراعة الكروم من خلال عرض إحصائيات لإنتاج الخمور بدءا بالجدول الآتي الذي يغطي الفترة الزمنية من 1854م إلى 1890م[17]:

إنتاج الخمور في الجزائر 1854-1890م

السنة	1854	1872	1873	1874	1875	1876	1877	1879	1880	1885	1889	1890
الإنتاج هكتولتر	2.306	16.688	17.245	18.324	20.044	16.723	17.128	19.994	23.724	70.866	106.351	110.050

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

نلاحظ من خلال الجدول التطور الكبير لإنتاج الخمور من سنة 1854 إلى 1890م بمعدل 47,72 ضعف، (4772%)هذا التوجه السريع نحو الزراعة النقدية يعكس الرغبة الكبيرة للمستوطنين في الثراء خاصة مع ملائمة الظروف الاقتصادية، كما أن عامل المناخ وجودة الخمور الجزائرية[18] كان عاملا مهما في نموها.

أدت خسائر المزارعين في مجال الحبوب إلى التوجه لزراعة الكروم[19] لتعويض خسائرهم وقد نشطت بشكل كبير بفضل مردودها والظروف المواتية في السوق الفرنسية خصوصا والأوربية عموما، غير أنها تسببت في إفلاس بعض المضاربين. الجدول الآتي يبين حجم التصدير إلى السوق الفرنسية[20]:

صادرات الخمور الجزائرية إلى فرنسا 1891–1899م

الموسم الزراعي	كمية الإنتاج بالهكتولتر	كمية التصدير إلى فرنسا	النسبة المئوية %
1891	4.058.512	1.845.000	45,46
1892	2.866.870	2.821.000	98,39
1893	3.937.132	1.817.000	46,15
1894	3.642.000	2.010.000	55,18
1895	3.796.633	2.892.000	76,17
1896	4.050.000	3.125.000	77,16
1897	4.367.758	3.582.000	82,01
1898	5.221.800	3.288.000	62,96
1899	4.648.700	4.648.000	99,98

يظهر من خلال الجدول الارتباط الكبير بين اقتصاد الجزائر و فرنسا. الأزمة الاقتصادية لم تؤثر على الجزائر، و تمكن المستوطنون[21] من تعويض خسائرهم بفعل زراعة الكروم[22]، كما لعبت القوانين خاصة (loi Méline)[23] في حماية المنتجات من المنافسة التجارية للبضائع الأجنبية[24].

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

احتل ميناء الجزائر المرتبة الأولى في التصدير إذ بلغت إجمالي الخمور المصدر من سبتمبر 1902م إلى نهاية أوت 1903م أكثر من 2 مليون هكتولتر[25]. أصبحت الجزائر ثالث منتج للخمور بعد كل من فرنسا وايطاليا إلا أنها توجه لفرنسا، والجدول الآتي يبين حجم الحمولة الموجهة للسوق الفرنسية من موانئ الجزائر مابين 1907 إلى 1914م[26].

صادرات الموانئ الجزائرية من الكروم إلى فرنسا 1907–1914م

الميناء	الجزائر	وهران	مستغانم	بجاية	عنابة	سكيكدة	أرزيو	جيجل
الكمية/قنطار	4.750.301	2.038.088	317.868	128.880	102.047	78.619	37.909	16.486

يبين الجدول الآتي مجموع الصادرات الجزائرية ونسبة الكروم منها (الوحدة: آلاف الفرنكات)، وهذا حتى نبين المكانة التجارية لها[27]:

نسبة صادرات الكروم من الصادرات الجزائرية 1905–1914م

السنة	1905	1906	1907	1908	1909	1910	1911	1912	1913	1914
الصادرات الجزائرية	228.763	280.294	338.488	319.205	329.218	513.603	509.603	546099	501.169	371.623
صادرات الكرمة	51.091	58.587	75.964	81.326	95512	214.095	203.475	235.475	164.166	97.920
النسبة	% 22.3	%20.9	%22.4	%22.5	%29	%41.7	%39.9	%43.1	%32.7	%26

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

نقوم بحساب متوسط النسب المئوية نجد أن صادرات الكروم 30.05 % أي ثلث الصادرات وهذه حصة كبيرة مقارنة بباقي المحاصيل. إن نمو إنتاج الخمور بصفة خاصة دليل على المردودية الكبيرة لها إنتاجا ونقدا[28]، غير أن "H.ISNARD" يعتبر زراعة الكروم خطأ اقتصادي ضروري ارتكابه نظرا للدور الفعال له قبل 1914م في تثبيت المستوطنين. نتج عن هذه الزراعة تضاد بين واجهة الجزائر وداخلها إذ تنتج الواجهة 80 % التي جذبت آلاف المعمرين بينما بقيت مناطق الداخل فيها رعاة جائعون وهذا بسبب الكروم[29].

مثلت زراعة الكروم أهم دعائم الاقتصاد الكولونيالي الزراعي نظرا لمداخيلها التي عوضت زراعة القمح و طلبات السوق الفرنسية عليها لارتباطها بالميتروبول وحاجة السوق الأوربية لها إذ كان عامل الجودة و الأزمات الزراعية في فرنسا عاملان رئيسيان لزيادة الطلب عليها. كما شكلت زراعة الكروم أحد دعائم الاستيطان الذي يرى في المستوطنة موطن الثراء السريع وهذا ما أثبتته إحصائيات الصادرات الموجه لفرنسا ومكانة الكروم فيها.

3-القطن:

تمت تجربة زراعة القطن[30] في الجزائر بنسبة نجاح متفاوتة بين المستوطنات ففي 1856م قدرت مساحة زراعته بـــــ: 2000 هكتار في الجزائر و ضواحيها ، و 800 هكتار في قسنطينة و 1000 هكتار في وهران، هذه الأخيرة عرفت نجاحا جيدا و هذا بفضل الري في سهول الهبرة و مينا و وادي تليلات بالشلف[31]، فأغلب الزراعات المنتجة في الجزائر وبالأخص الصيفية (يكون سقيها ما بين ماي إلى سبتمبر)، يأتي القطن في الصف الأول ثم الذرة و السمسم و التبغ والكروم[32]. يبين الجدول الآتي إنتاج القطن في الجزائر حسب السنوات[33]:

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

إنتاج القطن في الجزائر 1858–1879م

السنة	1858	1864	1866	1871	1879
الإنتاج/ قنطار	1040	5000	9000	2710	142

نلاحظ من خلال الجدول أن فترة ازدهار زراعة القطن كانت مابين سنة 1858 – 1866 م، ارتفع فيها سعر كلغ الواحد من القطن مابين 5 إلى 7 فرنك /كغ، ففي مقاطعة وهران تجاوزت مساحة زراعته 1200 هكتار في هذه الفترة المذكورة بلغ مردود الهكتار الواحد مابين 7 و 8 قنطار/الهكتار[34] وهذا راجع للدعم الحكومي الفرنسي لهذه الزراعة في الفترة المذكورة ونظرا للحاجة الملحة لها، إذ أخذت اهتمام الاقتصاديين والشركات المصنعة. قدر استهلاك الصناعة الفرنسية لهذه المادة 100 مليون فرنك سنويا لتموين الصناعات النسيجية[35].

4- الكتان:

اعتبر "سان مور saint-Maur" أنه لابد من إدخال تجربة زراعة الكتان[36] في الجزائر خاصة في الجزء الغربي[37]، وأن للجزائر القدرة على إنتاج أصناف جديدة وتستغرق فترة طويلة[38] والجدول الموالي يبين كمية الإنتاج خلال سنوات 1854–1890م[39]:

إنتاج الكتان في الجزائر 1854–1890م

السنة	1854	1865	1869	1870	1875	1880	1885	1890
الإنتاج/قنطار	**20000**	**31427**	**39528**	**42527**	**81970**	**94200**	**155000**	**196100**

نلاحظ من خلال الجدول زيادة كبيرة جدا بحوالي 10 أضعاف من سنة 1854م إلى 1890م وهذا يعكس الحاجة الكبيرة لهذه المادة وهذا لا يمكن التعرف عليه إلا من خلال دراسة واردات فرنسا لهذه المادة والمناطق الواردة منها حتى نتعرف على مكانة الكتان الجزائري، وهذا ما سيبنه الجدول الموالي لواردات فرنسا من الكتان سنة 1854م[40]:

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

واردات فرنسا من الكتان 1854م

المنطقة	الكمية المستوردة / كلغ
روسيا	14.000.000
بلجيكا و ايرلندا	8.000.000
ألمانيا ، بروسيا و بلدان أخرى	4.000.000
مصر	2.000.000
الجزائر	22.459.000

إن الإحصائيات التي أوردتها تبين أن حاجة فرنسا للكتان من الجزائر بنسبة 44% وهذا ما سيدفعها للتركيز عليها في القادم حتى تضمن مصادر التموين[41] للميتروبول وتدعم بصفة أحسن الاقتصاد الكولونيالي.

نواصل متابعة الإحصائيات الخاصة بتصدير الكتان من سنة 1902 إلى 1910م الكمية بالقنطار، والمصدرة من ميناء الجزائر، وهران، عنابة و بجاية وسكيكدة[42]:

صادرات الجزائر من الكتان 1902-1910م

السنة	1902	1903	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910
فرنسا	19.714	70.618	92.706	90.982	108.155	104.509	68.039	114.918	89.649
دول أخرى	1.078	5.075	4.901	10.727	13.753	15.880	5.595	8.322	9.033

نلاحظ هنا أن تصدير الكتان يركز على السوق الفرنسية تقريبا بنسبة 90 % وهذا يظهر الحاجة الملحة لوارداتها من الجزائر، وتزايد حركة التصنيع في فرنسا إذ في ظرف 7 سنوات تزايد استيرادها بستة أضعاف تقريبا. أما باقي الدول فبنسب متقاربة وقليلة جدا مقارنة بالواردات الفرنسية.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

5-التبغ:

بدء الفرنسيون في سنة 1844م[43] أولى محاولاتهم لزراعة التبغ في الجزائر باعتبار أن المناخ ملائم لهذه الزراعة[44]، رغم أن زراعتها وبيعها كانت بشكل حر إذ يكلف الهكتار الواحد مابين 600 إلى 800 فرنك لإنتاج 1500 كلغ أوراق جافة من التبغ[45]. بلغت مساحة زراعته سنويا في الجزائر ما بين 5000 إلى 6000 هكتار[46] في منطقة الجزائر من 4 إلى 5 آلاف هكتار مابين متيجة والساحل وسهول يسر ومنطقة القبائل وخصوصا سهول شلف. أما في قسنطينة حوالي 1000 هكتار ويتم زراعته في المثلث بونة القالة وديفيفي، أما في مقاطعة وهران فالتربة غنية بشكل كبير إلا أن زراعة التبغ غائبة عدا بعض المناطق التي يزرعها الجزائريون فقد قدر إنتاج الجزائر السنوي من التبغ ما بين 5 إلى 6 ملايين كلغ[47].

يوضح الجدول الموالي كمية الإنتاج وعدد المزارعين[48]:

إنتاج التبغ بالجزائر 1850 – 1853م

السنة	عدد المنتجين	الإنتاج/كلغ
1850	9	3778
1851	184	5888
1852	272	9323
1853	335	14000

نلاحظ من خلال الجدول ارتباط كمية الإنتاج بعدد المزارعين ففي ظرف 4 سنوات انتقل عدد المنتجين بـــ: 37.22 ضعف و الإنتاج بـــــ: 3.70 ضعف، هل سيتوجه الكولون بقوة نحو هذه الزراعة؟ للإجابة على هذا السؤال لابد من استعراض إحصائيات أخرى.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

يذكر" Maurice Wahl" أنه في سنة 1878م بلغ عدد المزارعين 7559 والمساحة المزروعة 6319 هكتار بينما وصل الإنتاج إلى 4.494.935 كلغ، أما في سنة 1879م بلغت مساحة زراعته 9764 هكتار بينما تراجع المحصول إلى 2.610.983 كلغ وهذا بسبب الجفاف[49]. هذا يثبت تركيز الكولون على قطاع الزراعة النقدية الأكثر ربحا رغم العوائق المناخية في بعض الأحيان، إلا أننا وجدنا الكثير من الإحصائيات غير المتقاربة في مجال إنتاج التبغ ففي بعض الأحيان يرد إنتاج الأوربيين والجزائريين وفي بعض الأحيان التركيز على الأوربيين، الإحصائيات التالية تركز على التبغ الموجه للصناعة وهنا بكميات كبيرة[50]:

إنتاج التبغ بالجزائر 1830–1900م

السنة	1830	1850	1860	1870	1876	1888	1900
عدد المزارعين	7836	6550	6304	7398	7258	6974	7167
المساحة/هكتار	3574	12312	6606	7266	6780	7394	7459
الإنتاج/قنطار	77322	83559	75553	59026	56662	58992	61576

نرجح أن هذه الإحصائيات هي للإنتاج الكلي سواء من الجزائريين أو الأوربيين إذا ما قارناها بالإحصائيات السابقة، غير أنها تشير إلى التركيز على زراعة التبغ و التي كانت مربحة للطرفين ستتلقى هذه الزراعة مساعدة من طرف الدولة الفرنسية عبر مؤسسات tabacoops [51] فمثلا تلقت سنة 1933م قرضا بـــ: 54 مليون فرنك[52].

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

نلاحظ إحصائيات أخرى خاصة بحركة تصدير التبغ من سنة 1902 إلى 1910م بالقنطار[53]:

صادرات التبغ من الجزائر 1902–1910م

السنة		1902	1903	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910
نحو فرنسا	تبغ أوراق	**18.644**	**31.698**	**32.094**	**22.455**	**35.500**	**31.805**	**14.563**	**23.962**	**39.344**
	لفائف تبغ	1.070	1.936	1.046	676	555	588	562	530	1.006
نحو بلدان أخرى	تبغ أوراق	**2.647**	**6.163**	**2.036**	**5.537**	**10.073**	**3.370**	**3.914**	**15.274**	**21.944**
	لفائف تبغ	855	1.818	2.131	2.779	3.599	4.599	4.431	4.494	5.975

نلاحظ هنا ثبات نسبة الصادرات إلى فرنسا بينما تزايد بشكل واضح نحو بلدان أخرى، مما يثبت نمو هذه الزراعة في الجزائر و نمو التسويق يعكس الأرباح المعتبرة منها.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

6-الحلفاء:

تعد الحلفاء نباتا مهما في المناطق الاستبسية[54] خاصة في مقاطعة وهران والتي تستغل لأغراض صناعية، وهي نبات طبيعي لا يتم زراعته[55]. تم الشروع في استغلال الحلفاء في عهد الإمبراطورية الثانية واعتبر مصدر رخاء للأهالي خاصة في القطاع الوهراني الذي بلغت نسبة انتاجه سنة 1862م حوالي 4500 طن ليرتفع إلى 37.000 طن سنة 1870م[56]. كان يتم اقتلاعها يدويا و ذلك للحفاظ على دوام نموها وقد بلغ سعر القنطار الواحد ما بين 1 فرنك إلى 1.25 فرنك باعتبار أن الرجل الواحد بإمكانه أن يقتلع 3 إلى 4 قناطر في اليوم، لكن أفراد العائلة كان يتعاونون في سهم الرجل الواحد. بعد سنة 1880م أصبح تبني العمل باحتساب طريقة الأجرة اليومية[57].

بلغت المساحة التي تشغلها الحلفاء 4 ملايين هكتار مما يسمح بتصديرها وقد بلغ الإنتاج سنة 1869م حوالي 4000 طن ليرتفع تدريجيا كل سنة؛ من 32.000 إلى 45.000 ، 58.000 ، 60.000 طن ليصل سنة 1881م إلى 80.865 طن وقد بلغ سعر الطن الواحد 150 فرنك في وهران. نأخذ مثال في الفترة من 1867 إلى 1878م صدرت الجزائر 530.000 طن بقيمة 66 مليون فرنك[58] إن زيادة الإنتاج يثبت الحاجة الملحة للصناعة الفرنسية لهذه المادة كما أن التجار الكولون عمدوا إلى تزويد الأسواق الأوربية[59] وليس السوق الفرنسية فقط تحقيقا لمصالحهم[60] وهذا ما تظهر الإحصائيات التالية[61]:

صادرات الحلفاء الجزائرية 1902-1910م

السنة	1902	1903	1904	1905	1906	1907	1908	1909	1910
نحو فرنسا	13.380	22.464	44.894	31.210	20.020	10.851	6.313	5.954	7.040
نحو بلدان أخرى	350.781	727.514	738.239	840.236	1.000.504	978.817	934.766	821.138	917.918

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

يظهر هنا بشكل واضح تركيز الكولون على التصدير للدول الأجنبية على فرنسا وهذا نظير الأرباح التي كانوا يكسبونها، كما أنهم تمكنوا من التهرب الضريبي لأن فرنسا كانت تفرض ضرائب كثيرة على السلع الواردة من الجزائر.

7- الغابات:

بلغت مساحة الغابات في الجزائر في بدايات الاحتلال 2.360.747 هكتار والتي عرفت تحديدا لها خاصة بموجب قانون سناتوس كونسيلت 1863م، ثم صنفت تلقائيا ضمن ممتلكات الدولة[62]. استغلت الغابات لتصدير الأخشاب وهذا ما يبينه الجدول الموالي[63]:

صادرات الأخشاب الجزائرية 1890-1905م

السنة	1890	1895	1900	1905
الإنتاج بالقنطار	1.263	14.084	46.181	107.831
البيع بالفرنك	34.032	503.991	1.443.637	3.525.760

بقي إنتاج الخشب في الجزائر مهما وهو ما يبرر رفع صادراته، خاصة أشجار الفلين التي تتعدد صناعاتها.

8- التمور:

تعد التمور إحدى المنتجات الرئيسة للزراعة الصحراوية، و أهم مناطق إنتاجها في الجنوب الجزائري هي: **واد ريغ – الزيبان – سوف – ورقلة – ميزاب – توات – تيدكيلت – زوزفانة – والساورة**. تنتج الجزائر أنواع كثيرة و أهمها "**دقلة نور**" ذات جودة عالية مطلوبة في السوق الأوربية، إضافة لأنواع أخرى مثل: **رهار** "les rhars"، **الدقلة البيضاء- الموشي دقلة – الكونتيشي – الحرة – متيمة – علوة** "Aloua"[64].

سآخذ عينة من دراسة لمعرفة الأوضاع العامة لزراعة النخيل وهي دراسة لـــ:

" S. CAUVET " في المجلة الإفريقية بعنوان: " la culture du palmier au souf. Notes prises a el oued en 1900-1901. " زراعة النخيل في واد سوف، ملاحظات مأخوذة عن الواد 1900-1901م، حيث قدر في إحصائية سنة 1902م عدد أشجار النخيل من منطقة وادي سوف217.909 موزعة كالآتي[65]:

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

أشجار النخيل في واد سوف 1902م

المنطقة	العدد	المنطقة	العدد
الواد	36.077	ورماس	7.737
عميش	41.334	سيدي عنون	3.526
القمار	39.655	البهيمة"حساني عبد الكريم"	15.977
كوينين	22.122	الدبيلة	12.385
تغزوت	18.942	الزقم	20.148

والأنواع مقسمة كالآتي:

أنواع النخيل في واد سوف 1902م

النوعية	العدد	النوعية	العدد
دقلة نور	11.000	الرهار	170.000
الدقة البيضاء	6.500	الأنواع الأخرى	305.000

وجدت في فترة الدراسة زراعة الجزائريين للنخيل ولم أجد مساهمة للكولون سوى في الحركة التجارية، وهذا لغياب الخبرة في هذا المجال وتفضيلهم شرائها وتصديرها مباشرة للسوق الفرنسية.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

الخاتمة:

بعد دراستنا لنماذج من الزراعات الكولونيالية في الجزائر يمكننا التوصل لجملة من النتائج وهي:

- ارتكزت الزراعة الكولونيالية في البداية على الحبوب من نمط الزراعة التي مارسها الجزائريون و نظرا لحاجة الميتروبول للتزود بهذه المادة.
- لم يقتنع الكولون بزراعة الحبوب التي كان مردودها ضئيلا، فحبهم للثراء السريع جعلهم يتوجهوا للزراعات الصناعية النقدية كالكروم بدرجة أولى نظرا لمداخيلها و جودة خمورها. وما زاد في ازدهارها أزمة الفيلوكسيرا phylloxéra التي أضرت بالمنتج الفرنسي و ساهمت في ازدهار تجارة الخمور بالجزائر.
- توجه الكولون للاستثمار في التبغ والكتان والقطن والحلفاء كأنشطة تموين للصناعة الفرنسية، و هذا بعد تحصلهم على أراضي واسعة بعد مصادرتها من ملاكها خاصة في المناطق الداخلية والذي أدى بدوره إلى تنويع الزراعات الكولونيالية.
- أغلب الزراعات الكولونيالية لم تكن توجه لخدمة السوق المحلية بل توجه لتموين الميتروبول وتنمية تجارة الكولون. كما أن هذه الزراعات لم تخدم الإنتاج الزراعي في الجزائر بل تم استنزاف أخصب الأراضي خاصة السهلية في الزراعات النقدية.

الهوامش:

[1] - Maurice Wahl : l'Algérie, éd germer baillière et cie , paris, 1882, p281.

[2] - Busson Henri : Le développement géographique de la colonisation agricole en Algérie, Annales de Géographie, T7, N°31,1898, p34.

[3]– كليل صالح: مرجع سابق، ص 248.

[4] - J.Varlet : les céréales D'Algérie, éd Giralt, Alger, 1900, p11.

[5]– مساحة زراعة القمح في فرنسا لم تتجاوز 28.56 % من المساحة المحروثة.

[6]– ترد التسمية عند الفرنسيين les hautes plateaux بمعنى السهول العليا وهذا لخاصية تقارب شكل السطح مع سهول التل، ونصطلح عليها نحن باسم الهضاب العليا.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

[7]– عرف في منطقة سطيف عدة أنواع للقمح منها : **المحمودي، الهذبة، التونسي، الحاجي، البليوني، محمد بن البشير**(يسمى في مناطق من سطيف محمد البشير)، **الريشي، العجيني**. من حيث الجودة يعد المحمودي هو الأحسن ثم محمد بن البشير. إضافة إلى أنواع أخرى مثل: **الحاشد،الكحلة، ناب الإبل. أنظر:** CH. Rivière et H.LecQ : Manuel pratique de L'agriculteur Algérien, éd Augustin Challamel, Paris, 1900, p172.

[8]– تركز منطقة سيدي بلعباس على نوع من القمح يسمى: الماهون Mahon. أنظر: CH. Rivière et H.LecQ : ibid, p172.

[9] –J.Varlet : op cit, p 67-68.

[10]– عبد اللطيف بن أشنهو: مرجع سابق، ص 149–150.

[11]– شارل روبير أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919م، ج1، مرجع سابق، ص974.

[12] - Syndicat commercial algérien : L'Algérie et ses produits, éd Fontana frère et Cie, Alger, 1911, p42.

[13] - Syndicat commercial algérien : ibid, p40-41.

[14] - MM. le Dr Trabut et R.Marès : L'Algérie Agricole en 1906, éd imprimerie algérienne, Alger, 1906, P134.

[15]– مبخوتة سهام: زراعة الكروم و إنتاج الخمور في الجزائر(1870–1939م) قراءة في الواقع و الانعكاسات، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 1، ديسمبر 2016م، ص272.

[16]– عبد اللطيف بن أشنهو : مرجع سابق، ص 143.

[17] - Romuald Dejernon :Les vignes et les vins de l'Algérie, Vol 2,Librairie Agricole de la Maison Rustique ,Paris,1884, p179 -183.

[18]– من حيث النوعية كانت هناك الخمور البيضاء و الحمراء، فالخمور الحمراء نسبة للونها تصنع من العنب الأحمر أو الأحمر المائل للزرقة و العنب الأسود، أما الخمور البيضاء فتصنع من العنب العادي يضاف إليها نوع من الأحماض وتخزن في أقبية في براميل من خشب وهذا هو سبب حصولها في الأخير على اللون الأبيض. أنظر: ED McCarthy: le vin pour les nuls,tra :gaston demilton, 6eme, éd first-grund, paris, 2012, p36-37-76.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

[19]– هناك أنواع كثيرة من العنب الموجه للخمور نذكر منها: الحصرم الأبيض – الحصرم الأسود – الكرام – صوابع الأجات (الأصبع المسيجي) – عمار بوعمار – قلب الفرودي (الكتكوت) – قلب الطير – عين الكلب ، لكل نوع خاصيته ويوجه إما لصنع الخمور البيضاء أو الحمراء فمثلا يوجه عين الكلب لصناعة الخمور البيضاء. **أنظر:**

L. portes et F. Ruyssen : traite de la vigne et de ses produits, éd octave doin, Paris, 1886, T1, P99.

[20]– شارل روبير أجرون: مرجع سابق، ج1، ص975.

[21]– انتقل عدد السكان المعمرون في الجزائر من سنة 1876م 345.000 إلى 634.000 سنة 1901م كلهم يشتغلون بزراعة الكروم. وفي هذا الصدد يقول jules guyot : « **زراعة الكروم في كل الحالات هي التي تملك القوة الاستعمارية الأكثر اعتبارا** » . **أنظر:**

H. Isnard : la viticulture algérienne erreur économique ?, RA, éd A.jouradan, Alger, V100, 1956, P463.

[22]– كان دخل هكتار واحد من الكروم يتجاوز 4000 فرنك فرنسي بينما لا يتعدى 300 فرنك في الهكتار الواحد من القمح. **أنظر:** بن أشنهو: مرجع سابق، ص129.

[23]– تم اعتماد هذا القانون المنسوب لـــ: Jules Méline(1838-1925) ، في 11 جانفي 1892م يتضمن رفع التعريفة الجمركية على الواردات الزراعية التي تنتجها فرنسا وهذا حماية للمزارعين الفرنسيين من تحطم أسعار منتجاتهم. أنظر:

a 13 :26.https://www.herodote.net/almanach-ID-2999.php. 22/03/2020

[24]– أثبت هذا القانون فاعليته في السنوات الأولى، لكن لم يكن مأمون العواقب على المدى الطويل. **أنظر:**

Lhomme Jean : La crise agricole à la fin du XIXe siècle en France. Essai d'interprétation économique et sociale, in Revue économique, V 21, N°4, 1970, P534.

[25] - Jean du Nador : a travers l'Algérie, Vue d'ensemble colons-indigènes les vignobles, éd J.Angelini, Alger, 1903, p21.

[26]– مبخوتة سهام: المرجع السابق، ص 281–282.

[27]– بن أشنهو، مرجع سابق، ص142.

[28]– تتغير أسعار الخمور حسب انتاجها و طريقة تخزينها فمثلا الخمور التي تعصر وتوجه للاستهلاك المباشر بثمن، أما التي تخزن في قبو مدة معينة فتباع بأسعار أكثر.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

أنظر: Jean du Nador : op cit, p21.

[29] - H. Isnard : op cit, p470.

[30]– بداية زراعة القطن بشكل جدي في الجزائر بدأت سنة 1852م.

أنظر: MM. le Dr Trabut et R.Marès : op cit, p44.

[31] - Antoine Ronna: les irrigations, les cultures arrosées l'économie des irrigations, éd De Firmin-didot et Cie, paris, 1890, T3, p170-171.

[32] - Antoine Ronna: ibid, p327.

[33] - Maurice Wahl : op cit, p286-287.

[34] - MM. le Dr Trabut et R.Marès : op cit, p318.

[35] - M.A. Hardy : manuel du cultivateur de coton en Algérie, éd Dubos frères, Alger, 1856, p3.

[36]– يوجه المنتوج لصناعة كتان الخيوط وقسم آخر للبذور.

[37]– بلغت مساحة زراعة الكتان في الجزائر سنة 1876م حوالي 5555 هكتار وفي سنة 1878م مساحة 9136 هكتار. أنظر: Maurice Wahl : op cit, p287.

[38] - A.R. Souviron : de la culture du lin en Algérie, éd challamel et Lacroix Baudry, paris, 1860, p53.

[39]– كليل صالح: المرجع السابق، ص260.

[40]– كليل صالح: المرجع نفسه، ص261.

[41]– لإنتاج هكتار واحد من كتان الخيوط يكلف 640 فرنك فرنسي تشمل كل التكاليف من بذور وسقي و أسمدة. أنظر: A.R. Souviron : op cit, p56-57.

[42] - Syndicat commercial algérien : op cit, p51.

[43]– يذكر "شارل روبير أجرون" أن المستوطنين قد أدخلوا زراعة التبغ سنة 1843م وقد بلغ عدد المزارعين ما بين سنة 1875–1876م قرابة 8000 من الجزائريين و 2000 من الأوربيين والإنتاج من 50 إلى 55 ألف قنطار 5/2 من عمل الجزائريين. ويعتبر تبغ الجزائريين الأجود نظرا لطريقة جمعهم المحصول ورقة ورقة بينما الأوربيون يقومون بجنيها دفعة واحدة. أنظر: شارل روبير أجرون: مرجع سابق، ج1، ص690.

[44] - A. Bordier : la colonisation scientifique et les colonies Françaises, éd C. Reinwald, paris, 1884, p255.

[45] - Maurice Wahl : op cit, p 287-288.

[46] - CH. Rivière : les cultures industrielles en Algérie, éd Giralt, Alger, 1900, P89

[47] - CH. Rivière et H.LecQ : Manuel pratique de L'agriculteur Algérien, op cit, p301.

المجلد: (14) العدد: الخاص السنة: 2022 صفحات المقال: 10 – 31 ISSN :9577-1112 EISSN : 2602-5388

[48]– كليل صالح: مرجع سابق، ص268.

[49] - Maurice Wahl : op cit, p288.

[50]– كليل صالح: مرجع سابق، ص271.

[51]– من بين هذه التعاونيات: – tabacoops-la tabacoops de Bône- tabacoops de Kabylie tabacoops de Mitidja **أنظر:** كليل صالح: المرجع نفسه، ص270.

[52]– عبد اللطيف بن أشنهو: تكون التخلف في الجزائر، مرجع سابق، ص 178.

[53] - Syndicat commercial algérien : op cit, p44.

[54]– تشغل مساحة 4 مليون هكتار **أنظر:** A. Bordier : op cit, p256.

[55] - MM. le Dr Trabut et R.Marès : op cit, p481.

[56]– عبد الحكيم رواحنة: السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر 1870–1930م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013–2014م، غ م، ص110.

[57]– شارل روبير أجرون: مرجع سابق، ج1، ص689.

[58] - A. Bordier : op cit, p256.

[59]– من بين أهم الأسواق الأوربية انجلترا وهي المتعامل الأول و اسبانيا و بلجيكا وبنسبة أقل فرنسا من مجموع الصادرات الجزائرية. **أنظر:**

J-A. Barral : Dictionnaire d'agriculture، encyclopédie agricole complète، éd Hachette et Cie, paris, 1886, T1, p219.

[60]– وضعت الإدارة الفرنسية مخطط لاستغلال الحلفاء حسب مصدر إنتاجها، نظرا لعامل المضاربة فقد بلغ سعر القنطار الواحد 50 فرنك مما يعني ارتفاع كلفة الإنتاج المحلي. إلا أنه تم تصدير 14.000 قنطار ثم يتطور التصدير ليصل إلى 23.000 قنطار عام 1934م. **أنظر:** صالح كليل: مرجع سابق، ص276.

[61] - Syndicat commercial algérien : op cit, p38.

[62] - Maurice Wahl : op cit, p292.

[63] - MM. le Dr Trabut et R.Marès : op cit, p420.

[64] - Syndicat commercial algérien : op cit, p33.

[65] - s.cauvet : la culture du palmier au souf- Notes prises a el oued en 1900-1901, RA, V58, Office des Publications Universitaires, Alger, 1914, p76.